



ما إن يهدأ القصف على حي جوبر الدمشقي، حتى يسرع الناشط أبو غسان إلى المواقع المدمرة، ليس للبحث عن ضحايا، بل لحمايتها من "المعشبين" القادمين من بلدات ريف دمشق إلى الحي، و"المعشب" مصطلح يطلقه السوريون على من يجمع الأثاث والأدوات المنزلية من تحت أنقاض المباني المدمرة بقصد الانتفاع بها، سواء ببيعها أو مبادلتها أو استخدامها.

ويرى الناشط أبو غسان الذي طوع لحماية المباني المتضررة من العبث والسرقة أن "التعشيب" بات مهنة ومصدر رزق لعشرات السوريين داخل مناطق ريف دمشق المحاصر.

ظاهرة مؤلمة

مشهد عشرات المدنيين بين أنقاض المباني المدمرة بحي جوبر، حاملين أكياساً من الأثاث المنزلي المحطم والأواني البلاستيكية، بات مألوفاً رغم خطورته، نظراً لتكرار قصف الأبنية التي سبق استهدافها، ويقول الشاب مؤمن (17 عاماً) إن "كيساً من الحطب يزن سبعين كيلوغراماً يقدر سعره بآلفي ليرة سورية، قد يؤمن لفتى من قرية حمورية بعض المال لأسرته الكبيرة المحاصرة.

ويضيف، "أساعد إخوتي في تأمين الخشب لأغراض التدفئة والطبخ، ونبيع ما يزيد على حاجتنا لمن يشتري"، وفضلاً عن النحاس والمواد الأخرى ذات الأهمية، فإن مؤمن في مغامرة تنقيبه عن الخشب بين الأنقاض لا يوفر ما يعترض طريقه من العبوات البلاستيكية التي باتت سلعة مهمة لتقدير المازوت والبنزين داخل المناطق المحاصرة.

تجارة التعشيب:

الناشط أبو غسان عقد اتفاقاً مع مؤتمن حدد له فيه ضوابط عمله في الحي المدمر، فالبيوت السليمة والمتضررة جزئياً خط أحمر لا يجوز الاقتراب منها أو سلب شيء من أثاثها، وكذلك أماكن العبادة والمؤسسات العامة باستثناء ما سوي بالأرض وأصبح أنقاضاً لا ينفع منه صاحبه.

ويعبر أبو غسان -للحجزة نت- عن ألمه للجوء عشرات المدنيين إلى التعشيب بغرض التجارة، ولكنه لا ينفي حيرته من هذه الظاهرة التي نشأت أساساً في ظروف الحصار، بداعي البرد والجوع، ويستدرك قائلاً، "ولكننا في النهاية سنمنع الاعتداء على ممتلكات الناس مهما ساءت الظروف".

بين الأنقاذه:

على امتداد البصر ترى عشرات الأبنية وسط الحي قد سويت بالأرض، وما زالت الأعمال القتالية المستمرة في الجبهات تتسرب بالمزيد من دمار البنية التحتية للحي الكبير، ودفع الدمار الهائل بالكثيرين من أبناء المناطق المجاورة إلى دخول الحي لجمع خشب الأثاث والناحسيات والمواد البلاستيكية، فضلاً عن الملابس والمؤونة من البيوت التي غادرها أصحابها. ويفترض رجل طاعن في السن أمام كومة من التراب الصلصالي يفتح عن باب خشبي كبير، يفترض أنه باب منزله الذي سوي بالأرض، وينظر إلينا ويصبح بصوت مرتفع، "لا تفكرونني حرامي يا ولاد، هذا ما بقي من بيتي".

جمع الأدوية:

وأما أبو ماهر وهو أحد المدنيين القلائل الباقيين في حي جوبر، فلجأ مطلع هذا الشتاء إلى استخدام أعمدة سقف منزله المدمر لغرض التدفئة، يقول: "لا أستغرب حين أسمع أن الناس يحطمون الأثاث المنزلي لأغراض التدفئة"، ويخلص إلى القول، "لا أحد يملك وقوداً للتدفئة، وإن توافر فلا مال لدينا لشرائه، ويستحيل لك أن تعطي أولوية لثمن الحطب والأخشاب وأنك ترى أطفالك جوعى ومرضى".

وأفتت الهيئة الشرعية في وقت سابق من العام الماضي، بجمع كل الأدوية والمستحضرات الطبية من بيوت المدنيين، لكن ومع استمرار القصف اليومي المكثف ودمار تجمعات سكانية بأكملها، أصبح من الصعب على السلطات المحلية أن تحرس مئات البيوت المخلعة الأبواب.

ويعتبر حي جوبر الدمشقي أحد الأحياء المكتظة في العاصمة دمشق، وقد سكنته نحو ربع مليون مدني قبل اندلاع الاشتباكات، وغادرته أغلبية سكانه بحثاً عن الأمان في مناطق أخرى، ووفق تقديرات السلطات المحلية في الحي، فإن نحو 70% من بنيته التحتية باتت مدمرة تماماً.

الجزيرة نت

المصادر: